جامعة الأزهر
كلية الدراسات الإسلامية والعربية
للبنين بالديدامون – شرقية

# معالم الوسطية في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة

إعداد

**دكتور: عبد الله ناصر محمد العطني**

الأستاذ المشارك بقسم الدراسات الإسلامية بجامعة المجمعة

المملكة العربية السعودية

E- mail: anma_١٣١@hotmail.com

العدد الثامن

١٤٤٣هـ/ ٢٠٢١م

# معالم الوسطية في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة

**عبد الله ناصر محمد العطني**

**قسم الدراسات الإسلامية ،كلية العلوم والدراسات الإنسانية، جامعة المجمعة**

**المملكة العربية السعودية**

الإيميل الجامعي:anma_١٣١@hotmail.com

**ملخص البحث**

يهدف هذا البحث إلى بيان مفهوم الوسطية في اللغة والقرآن والسنة وذكر معالمها؛ ثم يقوم بتحرير معنى الوسطية في ضوء ما سبق. ثم يذكر معالمها ، مثل: الجمع بين الوحي والعقل، ، وعمارة الدنيا والعمل للآخرة، والجمع بين الثابت والمتغير، والقطيعة والظنية، ، والأصول والفروع. ثم ببيان المجالات التي تظهر فيها الوسطية، مثل العقيدة، والعبادات والمعاملات والرفق بالمدعوين، التجديد والاجتهاد، و الفتوى، والتعامل مع الآخر، ، والوسطية في التفاعل الحضاري ومحبة الخير للناس كافة. ثم يحاول البحث بيان الوسطية في الدعوة الإسلامية من خلال أركانها من: الداعية، وموضوع الدعوة، ووسائل الدعوة وأساليبها، والمدعوين،مستخدما المنهج التحليلي والوصفي،ومن نتائج البحث أن الإسلام هو دين الوسطية، وأن المنهج الوسطي في كل المجالات هو المنهج الناجح في تحقيق الأهداف الاجتماعية والإنسانية.

**الكلمات المفتاحية:** الوسطية، معالم، القرآن، السنة، الدعوة الإسلامية، الآخر

# Signs of moderation in the Noble Qur'an and the Noble Prophet's Sunnah

**Abdullah Nasser Mohammed Al–Atni**

**Department of Islamic Studies, College of Science and Human Studies, Majmaah University, Kingdom of Saudi Arabia**

**University email: anma_١٣١@hotmail.com**

**Abstract**

**This research aims to clarify the concept of moderation in the language, the Qur'an and the Sunnah and mention its features. Then he edits the meaning of moderation in light of the above. Then he mentions its features, such as: the combination of revelation and reason, the construction of the world and the hereafter for the hereafter, estrangement and presumption, estrangement and presumption, and origins and branches. Then by explaining the areas in which moderation appears, such as belief, worship and transactions, kindness to the invited, innovation and diligence, fatwas, dealing with others, moderation in civilized interaction and love of good for all people Then the research attempts to show moderation in the Islamic call through its pillars of: the preacher, the subject of the call, the means and methods of the call, and the invited, using the analytical and descriptive approach, and one of the results of the research is that Islam is a religion of moderation, and that the moderate approach in all fields is the successful approach in achieving goals. Social and humanitarian.**

**Keywords: Moderation, Milestones, the Qur'an, the Sunnah, the Islamic call, the Other.**

بسم الله الرحمن الرحيم

**مقدمة البحث:**

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد

فقد شاء الله تعالى أن تكون الوسطية في الإسلام سمة ثابتة، وجعلا منه سبحانه وتعالى؛ حيث قال سبحانه وتعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

والإسلام ذلك الدين الذي يدعو إلى الوسطية التي جل مضامينها تدل على الاعتدال وشريعته توصف بالسمحاء كره وأبغض إلى الناس الغلو والتطرف في الدين، ودعا إلى انتهاج نهج التيسير والرحمة بالناس.

ومع هذا الشأن إلا أنه توجد فئة من أعداء الإسلام يتهمونه بالوحشية، ويجعلون منه دينا وحشيا، كما توجد فئة من المسلمين انحرفت بالإسلام عن مساره، وجعلته دينا إنسانيا -في زعمهم- لا يعرف للثوابت بابا، ويتبع النسبية في كل شيء.

كما توجد فئة من المسلمين انحرفت بالإسلام عن مساره فجعلته دينا دمويا فظا، يتوق إلى سفك الدماء واستعباد الناس، حيث يعتمدون على تأويل النصوص الشرعية بحسب قناعاتهم والأيديولوجيا التي يؤمنون بها ويعملون على تطبيقها، مما كان له الأثر في انحراف بعض الشباب عن مسارهم نتيجة ما يلمسونه وما يشاهدونه وما يسمعونه عن الإسلام من خلال تلك الحركات التكفيرية المتشددة التي عاثت في الأرض فساداً وزرعت التخلف وأوجدت هوةً عميقة بين الحضارة والتقدم وبين قيم الإسلام وما يمثله من نظام عالمي قادر على مواكبة الحضارة الحديثة والتعايش مع كل مقوماتها في ضوء شريعة سمحاء واضحة ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك.

وكل هؤلاء القوم أخطأوا في حق الإسلام، وما عرفوا الإسلام على حقيقته.

ولما علمت بانعقاد مؤتمر في جامعة الأزهر حول الوسطية تأصيلا وتطبيقا، أردت المشاركة فيه، مستثمراً تلك الفرصة الطيبة في الرد على هؤلاء الذين أساءوا للإسلام، ولم يحسنوا فهمه، ولا عرضه على الناس، وقد جاء بحثي بعنوان:

«معالم الوسطية في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة»

**منهج البحث:**

اتبعت في هذا البحث المنهج الوصفي التحليلي؛ حيث قمت وفق ما يقتضيه هذا المنهج بوصف الوسطية كما جاءت في نصوص القرآن والسنة، وتحليل تلك النصوص للوصول إلى معالم الوسطية المنتشرة في تلك النصوص.

**خطة البحث:**

جاء البحث في مقدمة، وأربعة مباحث وخاتمة:

أما المقدمة ففيها تقدمة للتعريف بالموضوع، ومنهج البحث وخطته.

المبحث الأول: تحرير معنى الوسطية، وفيه تعرضت لمعنى مفهوم الوسطية من خلال معاجم اللغة، واستعمالات هذا المفهوم في القرآن السنة، واستخراج مدلولاته.

المبحث الثاني: معالم وسطية الإسلام، وفيه عرض لمعالم وسطية هذا الدين، وهو يعتبر عرضا إجماليا لتلك المعالم، وأبرز فيه ما ميز الإسلام عن غيره من الأديان.

المبحث الثالث: مجالات الوسطية ومعالمها، وهو عرض تفصيلي لمعالم الوسطية في كافة المجالات التي اشتمل عليها هذا الدين.

المبحث الرابع: وسطية الدعوة الإسلامية ومعالمها.

والخاتمة ذكرت فيها أهم النتائج

والله الموفق لنا جميعا إلى سواء السبيل.

## المبحث الأول: تحرير معنى الوسطية

**معنى الوسطية في اللغة:**

مادة (وسط) في اللغة ومشتقاتها تدل على العدل والنِّصف. وأعدل الشيء: أوسطه ووسطه. قال الله عز وجل: {أمة وسطا} [البقرة: ١٤٣]. ويقولون: ضربت وسط رأسه بفتح السين، ووسط القوم بسكونها. وهو أوسطهم حسبا، إذا كان في واسطة قومه وأرفعهم محلا[1].

**معنى الوسطية في القرآن الكريم:**

وردت مادة (وسط) في القرآن الكريم في عدة مواضع، وذلك بتصاريفها المتعددة، حيث وردت بلفظ:

١. (وسطا)، قال تعالى: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا} [البقرة: ١٤٣].

٢. (الوسطى)، قال تعالى: {حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ (٢٣٨)} [البقرة: ٢٣٨].

٣. وبلفظ (أوسط)، قال تعالى: {لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ} [المائدة: ٨٩].

وقال تعالى: {قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ (٢٨)} [القلم: ٢٨].

٤. وبلفظ (فوسطن)، قال تعالى: {فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا (٥)} [العاديات: ٥].

**وقفة مع آية: (وكذلك جعلناكم أمة وسطا):**

اختلف المفسرون في معنى كلمة «وسطا» في الآية على أقوال:

١ – **تعني «العدل»**؛ وقد ورد التفسير بهذا المعنى عن البخاري عقب حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم من رواية أبي سعيد الخدري، قال: "يدعى نوح يوم القيامة، فيقول: لبيك وسعديك يا

---

(١) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، (٦/ ١٠٨). تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

رب، فيقول: هل بلغت؟ فيقول: نعم، فيقال لأمته: هل بلغكم؟ فيقولون: ما أتانا من نذير، فيقول: من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمته، فتشهدون أنه قد بلغ: {ويكون الرسول عليكم شهيدا} [البقرة: ١٤٣] فذلك قوله جل ذكره: {وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا} [البقرة: ١٤٣]" والوسط: العدل[١].

وروى الطبري في تفسيره أسانيد إلى رسول الله وبعض الصحابة والتابعين أن «وسطا» أي «عدولا» [٢].

٢ – **تعني «الخيار» يقول الطبري**: «وأما الوسط فإنه في كلام العرب الخيار، يقال منه: فلان وسط الحسب في قومه أي متوسط الحسب إذا أرادوا بذلك الرفع في حسبه. وهو وسط في قومه وواسط» ... وقال زهير بن أبي سلمى في الوسط:

هم وسط ترضى الأنام بحكمهم  إذا نزلت إحدى الليالي بمعظم»[٣].

**٣ – البينية بين الشيئين:**

قال الطبري: «وأنا أرى أن «الوسط» في هذا الموضع، هو «الوسط» الذي بمعنى الجزء الذي هو بين الطرفين، مثل «وسط الدار»، وأرى أن الله تعالى ذكره إنما وصفهم بأنهم «وسط» لتوسطهم في الدين، فلا هم أهل غلو فيه، غلو النصارى الذين غلوا بالترهيب، وقيلهم في عيسى ما قالوا فيه، ولا هم أهل تقصير فيه، تقصير اليهود الذين بدلوا كتاب الله وقتلوا أنبياءهم، وكذبوا على ربهم، وكفروا به، ولكنهم أهل توسط واعتدال فيه، فوصفهم الله بذلك، إذ كان أحب الأمور إلى الله أوسطها» [٤].

---

(١) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، كتاب التفسير، سورة البقرة، باب قوله ( وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا) (حديث ٤٤٨٧) (٦/ ٢١)، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، (٣/ ١٤٢– ١٤٥)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م.

(٣) المرجع السابق، (٣/ ١٤١–١٤٢).

(٤) المرجع السابق، (٣/ ١٤٢).

**٤ – العدل والخيار معا:**

يقول محمد رشيد رضا: «إن الوسط هو العدل والخيار، وذلك أن الزيادة على المطلوب في الأمر إفراط، والنقص عنه تفريط وتقصير، وكل من الإفراط والتفريط ميل عن الجادة القويمة فهو شر ومذموم، فالخيار: هو الوسط بين طرفي الأمر أي: المتوسط بينهما»، ثم قال: «أي أن المسلمين خيار وعدول، لأنهم وسط ليسوا من أرباب الغلو في الدين المفرطين، ولا من أرباب التعطيل المفرطين، فهم كذلك في العقائد والأخلاق والأعمال» (١).

ويقول الزحيلي: «الوسط: منتصف الشيء أو مركز الدائرة ثم استعير للخصال المحمودة، إذ كل صفة محمودة كالشجاعة وسط بين الطرفين: الإفراط والتفريط، والفضيلة في الوسط بين والمراد: الخيار العدول الذين يجمعون بين العلم والعمل» (٢).

يقول الزجاج: «اللفظان مختلفان والمعنى واحد، لأن العدل خير والخير عدل» (٣).

يقول الشيخ السعدي رحمه الله في تفسيره: «{وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا} أي: عدلا خيارا، وما عدا الوسط، فأطراف داخلة تحت الخطر، فجعل الله هذه الأمة، وسطا في كل أمور الدين، وسطا في الأنبياء، بين من غلا فيهم، كالنصارى، وبين من جفاهم، كاليهود، بأن آمنوا بهم كلهم على الوجه اللائق بذلك، ووسطا في الشريعة، لا تشديدات اليهود وآصارهم، ولا تهاون النصارى. وفي باب الطهارة والمطاعم، لا كاليهود الذين لا تصح لهم صلاة إلا في بيعهم وكنائسهم، ولا يطهرهم الماء من النجاسات، وقد حرمت عليهم الطيبات، عقوبة لهم، ولا كالنصارى الذين لا ينجسون شيئا، ولا يحرمون شيئا، بل أباحوا ما دب ودرج. بل طهارتهم أكمل طهارة وأتمها، وأباح الله لهم الطيبات من المطاعم والمشارب والملابس والمناكح، وحرم عليهم الخبائث من ذلك، فلهذه الأمة من الدين أكمله،

---

(١) تفسير المنار، محمد رشيد بن علي رضا (المتوفى: ١٣٥٤هـ)، (١/ ٤-٥)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م.

(٢) التفسير المنير، د وهبة بن مصطفى الزحيلي، (٢/ ٦)، دار الفكر المعاصر – دمشق، الطبعة الثانية، ١٤١٨هـ.

(٣) لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري (المتوفى: ٧١١هـ)، (٧/ ٤٣٠)، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ.

ومن الأخلاق أجلها، ومن الأعمال أفضلها. ووهبهم الله من العلم والحلم، والعدل والإحسان، ما لم يهبه لأمة سواهم، فلذلك كانوا {أُمَّةً وَسَطًا}»[1].

وفي نفس المعنى يقول الدكتور: أحمد عماري: «والوسط هو العدل والخيار، هو أفضل الأمور وأحسنها وأجملها وأنفعها للناس»[2].

**معنى الوسطية في السنة النبوية:**

أما في السنة الشريفة فوردت مادة (وسط) كثيرا، وتدور حول معنى البينية بين الشيئين. فيشمل البينية بين الخير والشر، وبين الجيد والرديء، والوسطية الحسية في المكان بمعنى منتصفه.

١ – الحديث السابق في المعنى الأول لكلمة «وسطا» في قوله: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا} [البقرة: ١٤٣].

٢ – لما نزل قوله تعالى: {الم (١) غُلِبَتِ الرُّومُ (٢)} [الروم: ١، ٢]... الآيات» خرج أبو بكر الصديق يصيح في نواحي مكة «الم غلبت الروم .. الآيات». قال ناس من قريش لأبي بكر: فذلك بيننا وبينك أزعم صاحبك أن الروم ستغلب فارس في بضع سنين، أفلا نراهنك على ذلك؟! قال: بلى وذلك قبل تحريم الرهان، فارتهن أبو بكر رضي الله عنه المشركون وتواضع الرهان، وقالوا لأبي بكر: كم تجعل البضع ثلاث سنين إلى تسع سنين، فسم بيننا وبينك وسطا تنتهي إليه فسموا بينهم ست سنين»[3]، فالست هنا: هي الوسط بين ثلاث وتسع، فقبلها وبعدها ثلاث.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ) (ص: ٧٠)، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠ م.

(٢) التوسط والاعتدال (١) مفهوم الوسطية ومعالمها، أحمد عماري، مقال منشور بموقع الألوكة على الرابط التالي: https://www.alukah.net/sharia/٠/٩٢٩٤٨/#ixzz٧٣hW١lTbl. تاريخ الإضافة: ٢٦/ ١٢/ ١٤٣٦ هجري/ ١٠/ ١٠/ ٢٠١٥ ميلادي.

(٣) الجامع الكبير – سنن الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرة الترمذي، (المتوفى: ٢٧٩هـ)، كتاب تفسير القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ومن سورة الروم، (حديث ٣١٩٤) (٥/ ١٩٧-١٩٨)، تحقيق: بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت، سنة النشر: ١٩٩٨ م.

٣ – قال رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم: ثلاث من فعلهن فقد طَعِم طَعْم الإيمان، من عبَد الله وحده، وأنه لا إله إلا الله، وأعطى زكاة ماله طيبة بها نفسه، رافدة عليه كل عام، ولا يعطي الهَرِمَة، ولا الدَّرِنَة، ولا المريضة، ولا الشَّرَط اللئيمة، ولكن من وسط أموالكم، فإن الله لم يسألكم خيره، ولم يأمركم بشره» (١).

٤ – عن جابر بن عبد الله قال: كنا عند النبي – صلى الله عليه وآله وسلم– فخط خطا وخط خطين عن يمينه، وخط خطين عن يساره، ثم وضع يده على الخط الأوسط فقال: هذه سبيل الله، ثم تلا هذه الآية: {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ} [الأنعام: ١٥٣](٢).

**والوسط هنا:** هو الشيء بين الشيئين. متوسط بينهما.

٥ – قال – صلى الله عليه وآله وسلم: إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة» (٣).

٦ – وقال – صلى الله عليه وآله وسلم: «إن البركة تنزل وسط الطعام، فكلوا من حافتيه، ولا تأكلوا من وسطه» (٤)، والوسط هنا: أشبه ما يكون بمركز الدائرة ومنتصفها أي: هي نقطة الالتقاء بين أطراف متساوية.

---

(١) سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ)، كتاب الزكاة، باب في زكاة السائمة، (حديث ١٥٨٢)، (٣/ ٣٢)، تحقيق: شعَيب الأرنؤوط – محَمَّد كامِل قره بللي، الناشر: دار الرسالة العالمية، الطبعة الأولى، ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩ م.

(٢) سنن ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (المتوفى: ٢٧٣هـ)، كتاب السنة، باب اتباع سنة رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، (حديث ١١)، (١/ ٨)، تحقيق: شعَيب الأرنؤوط وآخرون، الناشر: دار الرسالة العالمية، الطبعة الأولى، ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩ م.

(٣) رواه البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة، كتاب التوحيد باب وكان عرشه على الماء، (حديث ٧٤٢٣) (٩/ ١٢٥).

(٤) رواه الترمذي في سننه من حديث ابن عباس، كتاب الأطعمة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم باب ما جاء في كراهية الأكل من وسط الطعام (حديث ١٨٠٥) (٤/ ٢٦٠).

٧ – وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي – صلى الله عليه وآله وسلم– أنه خطَّ خطا مربعا، وخطا وسط الخط المربع، وخطوطا إلى جانب الخط الذي وسط الخط المربع، وخطا خارجا من الخط المربع، فقال: أتدرون ما هذا؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: هذا الإنسان الخط الأوسط، وهذه الخطوط إلى جانبه الأعراض تنهشه أو تنهسه من كل مكان...» [١]، والوسط هنا: هو ما كان بين عدة أطراف، والمسافة بينه وبين كل طرف متساوية.

٨ – قال – صلى الله عليه وآله وسلم: «وَسِّطُوا الإمام وسددوا الخلل» [٢]، أي: اجعلوه وسط الصف من أمامه.

٩ – قال – صلى الله عليه وآله وسلم: «أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقا، وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحا، وببيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه»[٣]، والوسط هنا ما كان بين الربض والأعلى.

١٠ – قال رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم: « لعن الله من جلس وسط الحلقة»[٤]، وهو الذي يجلس في أي فراغ داخل الحلقة.

١١ – قال – صلى الله عليه وآله وسلم: «لأن أمشي على جمرة أو سيف أو أخصف نعلي برجلي أحب إلى من أن أمشي على قبر مسلم، وما أبالي أوسط القبر قضيت حاجتي أو وسط السوق» [٥]، والوسط هنا وسط مكاني.

---

(١) رواه ابن ماجه في سننه من حديث عبد الله بن مسعود، كتاب الزهد باب الأمل والأجل، (حديث ٤٢٣١) (٢/ ١٤١٤).

(٢) رواه أبو داود في سننه من حديث أبي هريرة، كتاب الصلاة باب مقام الإمام من الصف، (حديث ٦٨١) (٢/ ١٨).

(٣) رواه أبو داود في سننه من حديث أبي أمامة الباهلي، كتاب الأدب باب في حسن الخلق، (حديث ٤٨٠٠) (٧/ ١٧٨-١٧٩).

(٤) رواه أبو داود في سننه من حديث حذيفة بن اليمان، كتاب الأدب باب الجلوس وسط الحلقة، (حديث ٤٨٢٦) (٧/ ١٩٨).

(٥) رواه ابن ماجه في سننه من حديث عقبة بن عامر، كتاب الجنائز باب ما جاء في النهي عن المشي على القبور أو الجلوس عليها، (حديث ١٥٦٨) (٢/ ٥٠٩).

١٢ – قال – صلى الله عليه وآله وسلم: «الوالد أوسط أبواب الجنة»[١].

١٣ – قال علي بن أبي طالب:«خير الناس هذا النمط الأوسط يلحق بهم التالي ويرجع إليهم الغالي»[٢].

**تحرير معنى الوسطية:**

بعد استقراء الآيات والأحاديث السابقة قد «اتضح لنا أن كلمة «وسط» تستعمل في معان عدة أهمها:

١ – بمعنى الخيار والأفضل والعدل.

٢ – قد ترد لما بين شيئين فاضلين.

٣ – وتستعمل لما كان بين شيئين وهو خير.

٤ – وتستعمل لما كان بين الجيد والرديء، والخير والشر.

٥ – وقد تطلق على ما كان بين شيئين حسا كوسط الطريق، وسط العصا»[٣].

والذي يهم الآن هو معرفة معنى «الوسطية»، ويتبين من تحديد مضمون الوسطية أن الاتجاهات في تعريف الوسطية ثلاثة اتجاهات[٤]:

١ – اتجاه وقف عند الخيرية أو العدل أو الأفضل؛ فالوسطية هي مؤهل الأمة الإسلامية من العدالة والخيرية للقيام بالشهادة على العالمين وإقامة الحجة عليهم، ولا يلزم لكل ما يعتبره وسطا في الاصطلاح أن يكون له طرفان، فالعدل وسط، ولا يقابله إلا الظلم، والصدق وسط ولا يقابله إلا الكذب.

٢ – اتجاه وقف عند المعنى اللغوي «البينية بين شيئين» فجعل الوسطية هي التوسط بين الشيئين دون النظر إلى معنى الخيرية التي دل عليها الشرع، ولكن هذا الاستعمال هو استعمال فضفاض يلبس أي وضع أو عرف أو مسلك مظهر الوسطية حتى أصبحت الوسطية في مفهومهم تعني التساهل والتنازل.

---

(١) رواه ابن ماجه في سننه من حديث أبي الدرداء، حديث ٣٧٩٤، كتاب الأدب باب بر الوالدين، (حديث ٣٦٦٣) (٤/ ٦٣٢).

(٢) المصنف في الأحاديث والآثار، أبو بكر بن أبي شيبة (المتوفى: ٢٣٥هـ)، كتاب الزهد، باب كلام علي بن أبي طالب رضي الله عنه، (حديث ٣٤٤٩٨) (٧/ ١٠٠)، تحقيق: كمال يوسف الحوت، الناشر: مكتبة الرشد – الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٩.

(٣) الوسطية في القرآن، د. علي محمد الصلابي، (ص: ٢٩)، مكتبة الإيمان – المنصورة، الطبعة الأولى ٢٠٠٥م.

(٤) المرجع السابق، (ص: ٢٩–٣٠).

٣ – اتجاه يجمع بين الخيرية والبينية، فهذا المصطلح لا يصح إطلاقه إلا إذا توفر فيه صفتان:

١ – الخيرية أو ما يدل عليها كالأفضل والأعدل أو العدل.

٢ – البينية: سواء أكانت حسية أم معنوية.

فإذا جاء أحد الوصفين دون الآخر فلا يكون داخلا في مصطلح الوسطية، والقول بأن الوسطية ملازمة للخيرية، أي أن كل أمر يوصف بالخيرية فهو (وسط) فيه نظر، والعكس هو الصحيح، فكل وسطية تلازمها الخيرية، فلا وسطية بدون خيرية، ولا عكس فلا بد مع الخيرية من البينية حتى تكون وسطا.

وكذلك البينية – أيضا – فليس كل شيئين أو أشياء يعتبر وسطا وإن كان وسطا، فقد يكون التوسط حسيا أو معنويا، ولا يلزم بالوسطية كوسط الزمان أو المكان أو الهيئة ونحو ذلك، ولكن كل أمر يوصف بالوسطية فلا بد أن يكون بينيا حسا أو معنى.

وعلى هذا فأي أمر اتصف بالخيرية والبينية جميعا فهو الذي يصح أن نطلق عليه وصف: الوسطية، وما عدا ذلك فلا.

إن الوسطية في التصور الإسلامي هي الحق بين باطلين، والعدل بين ظلمين، والاعتدال بين تطرفين، والموقف العادل المتوازن الجامع لأطراف الحق والعدل والاعتدال، الرافض للغلو – إفراطا وتفريطا – لأن الغلو الذي يتنكب الوسطية هو انحياز من الغلو إلى أحد قطبي الظاهرة، ووقوف عند إحدى كفتي الميزان، يفتقر إلى توسط الوسطية الإسلامية الجامعة وإلى توازنها وعدلها واعتدالها.

والوسطية الإسلامية الجامعة، ليست انعدام الموقف الواضح والمحدد أمام المشكلات والقضايا المشكلة، بل إنها على العكس من ذلك هي الموقف الأصعب، الذي لا ينحاز الانحياز السهل إلى أحد القطبين فقط، فهي بريئة من المعاني السوقية التي شاعت عن دلالات ومضامين مصطلحها بين العوام.

وهي كذلك ليست «الوسطية الأرسطية» كما يحسب ذلك كثير من المثقفين ودارسي الفلسفة الغربية وطلابها، لأن الوسطية التي رأى بها أرسطو أن الفضيلة هي وسط بين رذيلتين – مسافة متساوية، تضمن لها التوسط والوسطية، إنها نقطة رياضية، وموقف ساكن، وشيء آخر لا علاقة له بالقطبين اللذين تتوسطهما، وليست هكذا الوسطية الإسلامية الجامعة كما حددها منهاج الإسلام.

إن الوسطية في التصور الإسلامي: موقف ثالث حقا، وموقف جديد حقا ولكن التوسط بين النقيضين المتقابلين لا يعني أن هذا الوسط منبت الصلة بسمات القطبين المتقابلين وقسماتهما ومكوناتهما، إنه يجمع منهما عناصر الحق والعدل لتكون منها وبها هذا الموقف الوسطي الجديد فهي في حقيقتها رفض للغلو الذي ينحاز إلى قطب واحد من هذين القطبين – غلو الإفراط أو غلو التفريط...

ولذلك فإنها – هذه الوسطية الإسلامية الجامعة – تصوغ الإنسان الوسط: راهب الليل وفارس النهار .. الجامع بين الفردية والجماعية، بين الدنيا والآخرة، بين الدين والدنيا، بين الدولة والدين، بين الذات والآخر، بين التبتل للخالق، والاستمتاع بطيبات وجماليات الحياة التي خلقها الله وسخرها لهذا الإنسان. تلك هي وسطيتنا الإسلامية الجامعة، صبغة الله التي أرادها لأمة الإسلام والفطرة الإسلامية المطهرة من العوارض والآفات، وعدسة الرؤية اللامة لقسمات المنهج الإسلامي ومعالم تصوره، إن في الفكر أو في الحياة[1]. ويمكن أن نقول: إن الوسطية هي «العدل المتوازن» و«التوازن العادل».

(١) معركة المصطلحات بين الغرب والإسلام، محمد عمارة، ص: ١٨٩-١٩٢ بتصرف، دار نهضة مصر، الطبعة الثانية: ٢٠٠٤م. في فقه الحضارة الإسلامية، محمد عمارة، ص: ٢٠-٢٣ بتصرف، مكتبة الشروق الدولية، الطبعة الثانية: ٢٠٠٧م.

## المبحث الثاني: معالم وسطية الإسلام

توجد معالم تتضح وتستبين بها وسطية الإسلام، وتميزه على سائر الأديان، ومنها:

**أولا: الجمع بين الوحي والعقل:**

سواء في مجال وسائل المعرفة، أو في العقائد والشرع. فالوحي والعقل والحواس من مصادر المعرفة المعتبرة في الإسلام. وللعقل والنقل مجالهما الرحب الواسع في إثبات العقائد والدفاع عنها والمنافحة دونها، كما أن للعقل والنقل دور في تفصيل أحكام الشرع وإثباتها، وفي عمل المجتهد للإتيان بالأحكام الفقهية للحوادث المستجدة، وعلى العقل والنقل يعتمد الداعية في تبليغ الدين للناس. فليس الإسلام دينا يعتمد النص ويلغي مجال العقل، وليس دينا يعتمد العقل ويلغي مجال النص، بل جمع بينهما في نمط عجيب.

وقد أشار القرآن إلى استخدام العقل والنقل معا في الاستدلال فقال تعالى: {قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٤)} [الأحقاف: ٤].

يقول ابن الفرس: (في هذه الآية -والتي قبلها- بيان أدلة العقل وأدلة السمع. فقال أولا: {قل أرأيتم ما تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك في السماوات} فهذا احتجاج بالمعقول. ثم قال: {ائتوني بكتاب من قبل هذا أو أثارة من علم} فاحتج عليهم بطريق السمع، وهما قسمان: أدلة العقل والنقل)[1].

ونحن في هذا نتبع القرآن الكريم حين رسم لنا طريق الاحتجاج بالعقل والنقل معا، ويبين نفس المعنى السابق القاسمي في تفسيره؛ حيث يقول رحمه الله تعالى:

---

(١) أحكام القرآن، أبو محمد عبد المنعم بن عبد الرحيم المعروف «بابن الفرس الأندلسي» (المتوفى: ٥٩٧ هـ)، (٣/ ٤٧٦)، تحقيق: د/ طه بن علي بو سريح، د/ منجية بنت الهادي النفري السوايحي، صلاح الدين بو عفيف. الناشر: دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م.

({قُلْ أَرَأَيْتُمْ ما تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ} أي: من الأوثان التي تعبدونها. {أَرُونِي ماذا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّماواتِ} أي أروني ما تأثير ما تعبدونه في شيء أرضيّ بالاستقلال، أو شيء سماويّ بالشركة، حتى تستحق العبادة. {ائْتُونِي بِكِتابٍ مِنْ قَبْلِ} هذا تبكيت لهم بتعجيزهم عن الإتيان بسند نقليّ، بعد تبكيتهم بالتعجيز عن الإتيان بسند عقليّ. أي: ائتوني بكتاب إلهيّ من قبل هذا القرآن الناطق بالتوحيد، وإبطال الشرك، دالّ على صحة دينكم)[1].

ويوضح ابن القيم في تفسير قول الله تعالى: {نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ} [النور: ٣٥] أن القلوب المنورة بنور الله لا يتعارض عندها العقل والنقل، وإليك نص كلامه رحمه الله تعالى:

(وقد جعل الله تعالى القلوب كالآنية، كما قال بعض السلف «القلوب آنية الله في أرضه، فأحبها إلى الله أرقها وأصلبها وأصفاها» والمصباح هو نور الإيمان في قلبه، والشجرة المباركة: هي شجرة الوحي المتضمنة للهدى ودين الحق. وهي مادة المصباح التي يتّقد منها. والنور على النور نور الفطرة الصحيحة، والإدراك الصحيح ونور الوحي والكتاب، فينضاف أحد النورين إلى الآخر فيزداد العبد نورا على نور. ولهذا يكاد ينطق بالحق والحكمة قبل أن يسمع ما فيه من الأثر، ثم يبلغه الأثر بمثل ما وقع في قلبه ونطق به، فيتفق عنده شاهد العقل والشرع، والفطرة والوحي فيريه عقله وفطرته وذوقه الذي جاء به الرسول صلّى الله عليه وسلّم هو الحق لا يتعارض عنده العقل والنقل، بل يتصادقان ويتوافقان فهذا علامة النور على النور، عكس من تلاطمت في قلبه أمواج الشبه الباطلة، والخيالات الفاسدة، من الظنون، والجهليات التي يسميها أهلها القواطع العقليات)[2].

ونفصل الكلام في وسطية الإسلام في الجمع بين العقل والنقل على النحو التالي:

---

(١) محاسن التأويل، حمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ)، (٨/ ٤٣٧)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ.

(٢) تفسير القرآن الكريم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، (ص ٣٩٦-٣٩٧)، تحقيق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان، الناشر: دار ومكتبة الهلال – بيروت، الطبعة الأولى – ١٤١٠ هـ.

١- الجمع بين العقل والنقل في استقاء المعرفة: والإسلام في هذا الشأن يتميز عن بقية الفلسفات والمذاهب، تلك التي حصرت المعرفة في العقل، أو التي حصرته في الحواس، أو التي حصرته في التجربة، أو التي حصرته في الوحي، بل جعلت العقل مع الوحي مع الحواس مصادر للمعرفة.

يقول ابن تيمية رحمه الله: «قد سلموا أنه يعلم بالسمع أمور. كما يذكرونه كلهم من أن العلوم ثلاثة أقسام: منها ما لا يعلم إلا بالعقل، ومنها ما لا يعلم إلا بالسمع، ومنها ما يعلم بالسمع والعقل. وهذا التقسيم حق في الجملة، فإن من الأمور الغائبة عن حس الإنسان ما لا يمكن معرفته بالعقل، بل لا يعرف إلا بالخبر.

وطرق العلم ثلاثة: الحس، والعقل، والمركب منهما كالخبر.

فمن الأمور ما لا يمكن علمه إلا بالخبر، كما يعلمه كل شخص بأخبار الصادقين كالخبر المتواتر، وما يعلم بخبر الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين.

وهذا التقسيم يجب الإقرار به، وقد قامت الأدلة اليقينية علي نبوات الأنبياء، وأنهم قد يعلمون بالخبر ما لا يعلم إلا بالخبر، وكذلك يعلمون غيرهم بخبرهم»[1].

ولكل مصدر معرفي مجاله المعرفي الذي يعمل فيه؛ فالغيبيات لا طريق في معرفتها إلا بالوحي والنص (النقل)، وهذه الغيبيات لا مدخل للعقل فيها، ومن هذه الغيبيات بعض الصفات الإلهية، وما بعد الموت من أحداث وأهوال.

٢- الجمع بين العقل والنقل في الاعتقاد: مجال الاعتقاد؛ منه ما يستقل الوحي بالتعريف به، ومنه ما يشترك الوحي والعقل في التعريف به والوصول إليه، ومنه ما يمكن الاعتماد فيه على العقل مستعينا بالمعارف المستفادة من النص والوحي.

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية (المتوفى: ٧٢٨هـ)، (١/ ١٧٩)، تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م.

يقول ابن تيمية رحمه الله: «وأما الأمور "الإلهية والمعارف الدينية" فهذه العلم فيها مأخذه عن الرسول فالرسول أعلم الخلق بها وأرغبهم في تعريف الخلق بها وأقدرهم على بيانها وتعريفها فهو فوق كل أحد في العلم والقدرة والإرادة وهذه الثلاثة بها يتم المقصود. وبيان الرسول على وجهين:

تارة يبين "الأدلة العقلية" الدالة عليها والقرآن مملوء من الأدلة العقلية والبراهين اليقينية على المعارف الإلهية والمطالب الدينية. وتارة يخبر بها خبرا مجردا لما قد أقامه من الآيات البينات والدلائل اليقينيات على أنه رسول الله المبلغ عن الله وأنه لا يقول عليه إلا الحق وأن الله شهد له بذلك وأعلم عباده وأخبرهم أنه صادق مصدوق فيما بلغه عنه والأدلة التي بها نعلم أنه رسول الله كثيرة متنوعة وهي أدلة عقلية تعلم صحتها بالعقل وهي أيضا شرعية سمعية لكن الرسول بينها ودل عليها وأرشد إليها وجميع طوائف النظار متفقون على أن القرآن اشتمل على الأدلة العقلية في المطالب الدينية وهم يذكرون ذلك في كتبهم الأصولية وفي كتب التفسير وعامة النظار أيضا يحتجون بالأدلة السمعية الخبرية المجردة في المطالب الدينية فإنه إذا ثبت صدق الرسول وجب تصديقه فيما يخبر به. و"العلوم ثلاثة أقسام" منها ما لا يعلم إلا بالأدلة العقلية وأحسن الأدلة العقلية التي بينها القرآن وأرشد إليها الرسول فينبغي أن يعرف أن أجل الأدلة العقلية وأكملها وأفضلها مأخوذ عن الرسول»[1].

٣- الجمع بين العقل والنقل في التشريع: ومجال التشريع أيضا فيه ما يستقل الوحي بالتعريف به، وفيه ما يشترك فيه الوحي والعقل في معرفته وبيانه، وفيه -بل هو المجال الأرحب- ما يفسح فيه المجال لعمل العقل؛ حيث يبني على الأصول المتعارفة المستفادة من النص للوصول بهذه المعارف إلى معرفة حكم الحوادث المستجدة المجهول حكمها للمكلفين.

والعلاقة بين النقل والعقل علاقة تكامُل مع مراعاة أن ثبوت الشرع بنفسه، والعقل ليس أصلاً لثبوته، ولا معطياً له صفة لم تكن له، ولا مفيداً له صفة كمال. ومثال التكامل العقلي والنقلي ما ورد

---

(١) مجموع الفتاوى، تقي الدين أبو العباس أحمد ابن تيمية (المتوفى: ٧٢٨هـ)، (١/ ١٧٩)، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، طبعة، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

من معقول المعنى في رُخص السفر والمسح على الخفين لعلة دفع المشقة، ومعقولية المعنى في الوضوء، فإنه تنظيف وتنقية مادية ومعنوية، والصلاة يعقل منها الخشوع والاستكانة والابتهال للمعبود، والشهادة أصلها معقول المعنى وهو الثقة وحصول غلبة الظن والمقصود من مزيد العدد زيادة الثقة، ومن معقول المعنى تحريم الربا حتى لا يغبن بعض الناس بعضا وحتى تحفظ أموالهم[1].

وأختم هذه النقطة بكلام الإمام أبي حامد الغزالي: «ثم العلوم ثلاثة: عقلي محض لا يحث الشرع عليه ولا يندب إليه كالحساب والهندسة والنجوم وأمثاله من العلوم فهي بين ظنون كاذبة لائقة، وإن بعض الظن إثم؛ وبين علوم صادقة لا منفعة لها ونعوذ بالله من علم لا ينفع وليست المنفعة في الشهوات الحاضرة والنعم الفاخرة فإنها فانية دائرة، بل النفع ثواب دار الآخرة. ونقلي محض كالأحاديث والتفاسير، والخطب في أمثالها يسير؛ إذ يستوي في الاستقلال بها الصغير والكبير؛ لأن قوة الحفظ كافية في النقل وليس فيها مجال للعقل. وأشرف العلوم ما ازدوج فيه العقل والسمع واصطحب فيه الرأي والشرع، وعلم الفقه وأصوله من هذا القبيل فإنه يأخذ من صفو الشرع والعقل سواء السبيل، فلا هو تصرف بمحض العقول بحيث لا يتلقاه الشرع بالقبول ولا هو مبني على محض التقليد الذي لا يشهد له العقل بالتأييد والتسديد»[2].

**ثانيا: العناية بأعمال الظاهر والباطن:**

فيجمع بين الاهتمام بالأعمال الصادرة من جوارح الإنسان، والأعمال التي تصدر من القلوب. وذلك يساعد على بناء البدن والروح.

وكما هو معلوم فللظاهر الأعمال الخاصة به من عبادات مالية وبدنية، وللباطن أعماله من تقوى وخشوع ويقين ورجاء، وهناك أعمال هي في الأصل أعمال ظواهر كالصيام والصلاة والحج ولكنها

---

(١) التكامل المعرفي بين العقل والنقل في الفقه وأصوله، د. ربيع محمد محمد عبد الرحمن، (ص: ٣٦٨٣)، بحث منشور بمجلة كلية الدراسات العربية والإسلامية بأسوان، العدد الرابع ذو القعدة ١٤٤٢ه يونيو ٢٠١٢م.

(٢) المستصفى، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ)، (ص: ٣٦٨٣)، تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

تشتمل على أعمال الظاهر والباطن معا، والمسلم مطالب بإقامة أحكام الصلاة الشرعية وأعمال القلوب الباطنية.

وهنا تجد الفقه يحدثك عن شروط صحة الصلاة، وعن تفصيل الأقوال والأفعال التي تتم بها صورة الصلاة، ويميزون بين الواجب منها والمسنون والنفل، وذلك حتى تؤدي الصلاة في صورتها الظاهرة بصورة صحيحة، ومع ذلك فهناك عبادات قلبية مطلوبة في الصلاة وبعدها حتى يقبلها الله تعالى.

وهذا فرق بين صحة الصلاة وبين قبول الصلاة، ولا يلزم من صحة الصلاة أن يتقبلها الله سبحانه وتعالى، قال الله تعالى في الحديث القدسي فيما أخبرنا به النبي صلى الله عليه وسلم، قال: قال الله تبارك وتعالى: «إنما أتقبل الصلاة ممن تواضع بها لعظمتي، ولم يستطل على خلقي، ولم يبت مصرا على معصيتي، وقطع نهاره في ذكري، ورحم المسكين وابن السبيل والأرملة، ورحم المصاب، ذلك نوره كنور الشمس، أكلؤه بعزتي، وأستحفظه ملائكتي، أجعل له الظلمة نورا، وفي الجهالة حلما، ومثله في خلقي كمثل الفردوس في الجنة»[1].

وهذه العبادات الظاهرة بالأساس تصدر عن قلب وباطن معلق بالله تعالى، يقول ابن تيمية رحمه الله: «وهذه الأمور الباطنة والظاهرة بينهما ارتباط ومناسبة؛ فإن ما يقوم بالقلب من الشعور والحال يوجب أمورًا ظاهرة، وما يقوم بالظاهر من سائر الأعمال يوجب للقلب شعورًا وأحوالاً»[2]. ويقول أيضا: «إن الظاهر لا بد له من باطن يحققه ويصدقه ويوافقه، فمن قام بظاهر الدين من غير تصديق بالباطن فهو منافق، ومن ادعى باطنًا يخالف ظاهرًا فهو كافر منافق، بل باطن الدين يحقق ظاهره، ويصدقه ويوافقه وظاهره يوافق باطنه، ويصدقه ويحققه، كما أن الإنسان لا بد له من روح وبدن،

---

(١) مسند البزار، أبو بكر أحمد البزار (المتوفى: ٢٩٢هـ)، مسند ابن عباس رضي الله عنهما، (حديث ٤٨٥٥) (١١/ ١٢٩)، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، وعادل بن سعد، وصبري عبد الخالق الشافعي، الناشر: مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٩٨٨م - ٢٠٠٩م.

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، تقي الدين أبو العباس أحمد ابن تيمية (المتوفى: ٧٢٨هـ)، (١/ ٩٢)، تحقيق: ناصر عبد الكريم العقل، الناشر: دار عالم الكتب، بيروت، لبنان، الطبعة السابعة، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

وهما متفقان فلا بد لدين الإنسان من ظاهر وباطن يتفقان، فالباطن للباطن من الإنسان، والظاهر للظاهر منه، والقرآن مملوء من ذكر أحكام الباطن والظاهر، والباطن أصل الظاهر»[1].

والأصل في هذا الباب حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه عنه النعمان بن بشير رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ألا وإن في الجسد مضغة: إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب»[2].

**ثالثا: عمارة الدنيا والعمل للآخرة:**

فالإسلام ليس دينا غرق في الماديات ودفع أتباعه إلى التكالب على عرض الدنيا الزائل، وليس دينا غرق في الروحانيات ودعا أتباعه إلى الزهد في الدنيا وترك العمل فيها.

ويبين هذا أوضح بيان قوله تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: ٧٧].

يقول القرطبي في تفسير هذه الآية: «قوله تعالى: (ولا تنس نصيبك من الدنيا) اختلف فيه، فقال ابن عباس والجمهور: لا تضيع عمرك في ألا تعمل عملا صالحا في دنياك، إذ الآخرة إنما يعمل لها، فنصيب الإنسان عمره وعمله الصالح فيها. فالكلام على هذا التأويل شدة في الموعظة. وقال الحسن وقتادة: معناه لا تضيع حظك من دنياك في تمتعك بالحلال وطلبك إياه، ونظرك لعاقبة دنياك. فالكلام على هذا التأويل فيه بعض الرفق به وإصلاح الأمر الذي يشتهيه. وهذا مما يجب استعماله مع الموعوظ خشية النبوة من الشدة، قاله ابن عطية. قلت: وهذان التأويلان قد جمعهما ابن عمر في قوله: "احرث لدنياك كأنك تعيش أبدا، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا"»[3].

ويقول ابن كثير في نفس المعنى: «وقوله: {وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا} أي: استعمل ما وهبك الله من هذا المال الجزيل والنعمة الطائلة، في طاعة ربك والتقرب إليه بأنواع القربات، التي يحصل لك بها الثواب في الدار الآخرة. {ولا تنس نصيبك من الدنيا} أي: مما

---

(١) مجموع الفتاوى، تقي الدين أبو العباس أحمد ابن تيمية (المتوفى: ٧٢٨هـ)، (١٣/ ٢٦٨).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه، حديث رقم (٥٢)، (١/ ٢٠).

(٣) الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، (١٣/ ٣١٤)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م.

أباح الله فيها من المآكل والمشارب والملابس والمساكن والمناكح، فإن لربك عليك حقا، ولنفسك عليك حقا، ولأهلك عليك حقا، ولزورك عليك حقا، فآت كل ذي حق حقه»[1].

كما يوضحه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ما حصل من بعض الصحابة رضي الله عنهم خلل في فهم حقيقة الزهد والتعبد وكأنهم تقالوا عبادة النبي عليه الصلاة والسلام فقال لهم: «أنتم الذين قلتم كذا وكذا، أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني»[2]. وعليه فلا ينبغي لأحد أن يحرم نفسه مما أحله له، بل عليه أن يتقرب إلى الله بفعل المباح، كما يتقرب إليه بفعل المأمور به. والإنسان روح وجسد، للروح حقها، وللبدن حقه، فليعطِ كل ذي حق حقه[3].

وطريق الآخرة ليس يختلف عن طريق الدنيا، فكلاهما طريق واحد، وهو أن يتمتع الإنسان بالطيبات، ويبتعد عن الخبائث، ويؤدي حق الله تعالى، فهو بهذا يعمر الدنيا، ويعمل للآخرة عملا صالحا. فليس الإسلام يترك أبناءه للدنيا ومباهجها يعمل فيها كأنه لا آخرة يئوب إلى الله تعالى، وليس يدعو أبناءه للزهد في الحياة الدنيا، والتقشف التام منها، فقد توسط بين المسلكين، فالحياة الدنيا يحق للإنسان أن يتمتع فيها وفق منهج الإسلام، وهذا المسلك هو عمل للآخرة.

**رابعا: الجمع بين الثبات والمرونة، والقطيعة والظنية، والثوابت والمتغيرات، والأصول والفروع:**

فهناك أمور ثابتة لا تتغير مع مر الأيام وكر الدهور، ولا بتغير المجتمعات، وهناك أمور تتغير حسب تغير الزمان والمكان والأشخاص والأحوال، أو ما يمكن قوله: هناك ثبات في المقاصد، ومرونة في الوسائل.

لم يجعل الله أحكام الإسلام على نمط واحد، بل نوع بينها وغاير؛ حتى يكون الإسلام صالحا للتطبيق في كل زمان ومكان، فهناك أمور ثابتة ثبوتا قطعيا، وهناك أمور ثابتة ثبوتا ظنيا. والفرق بين القطع والظن أن القطع يفيد اليقين، ولا يستطيع الإنسان أن يغير منها شيئا. أما الظن فيفتح باب

---

(١) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (المتوفى: ٧٧٤هـ)، (٦/ ٢٥٣-٢٥٤)، تحقيق: أحمد سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م.

(٢) صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب فضل الترغيب في النكاح، حديث رقم (٥٠٦٣)، (٧/ ٢).

(٣) التوسط والاعتدال (١) مفهوم الوسطية ومعالمها، أحمد عماري، مرجع سابق.

الاجتهاد أمام المسلمين. ولذلك فإن ما كان قطعيا فهو ثابت لا يقبل التغيير، وما كان ظنيا فهو مرن قابل للتغيير.

«يوازن الإسلام منذ اليوم الأول بين الثابت والمتغير، بحيث لا يطغى أحدهما على الآخر، فلا يتحول الثابت إلى جمود، ولا يتحول التغيير إلى انفلات، ويجعل الإسلام الثابت هو الأساس، ويضع القواعد الثابتة، ويجعل التغير تابعاً ومحكوماً لها، ويظهر هذا في العديد من آيات القرآن الكريم، وأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم.

ولا شك أن الثابت كان وما يزال من خصائص الإسلام، التي تميز بها على سائر الملل والأديان، ولا شك أن تحديد الثابت والمتغير في الإسلام لم يكن من القضايا والأمور الشائكة في تراثنا الإسلامي العريق، كما أصبح عليه الحال في أيامنا هذه»[1].

تلك في نظري أهم معالم وسطية الإسلام من وجه عام، والباب مفتوح لاستقراء غيرها من المعالم، ولو تم استقراء كل حكم أو مقصد أو مبدأ إسلامي، وتم إعمال العقل فيه، لوجدت معلما ومظهرا لوسطية الإسلام، ونحاول في باقي مباحث هذا البحث أن نقف على شيء من ذلك، ولا ندعي الإحاطة بها؛ إذا لا يدعيها إلا متعالم أو متكبر، أو مغتر بنفسه. والله الهادي إلى سواء السبيل.

---

(١) ميزان الثابت والمتغير في منهج الإسلام، د. عبدالله عطا عمر، مقال منشور بموقع إسلام أون لاين على الرابط التالي:
https://www.islamweb.net/ar/article/٢٠٢٨٥٢/%D٩٪٨٥٪D٩٪٨A%D٨٪B٢٪D٨٪A٧٪D٩٪٨٦-%D٨٪A٧٪D٩٪٨٤٪D٨٪AB%D٨٪A٧٪D٨٪A٨٪D٨٪AA-%D٩٪٨٨٪D٨٪A٧٪D٩٪٨٤٪D٩٪٨٥٪D٨٪AA%D٨٪BA%D٩٪٨A%D٨٪B١-%D٩٪٨١٪D٩٪٨A-%D٩٪٨٥٪D٩٪٨٦٪D٩٪٨٧٪D٨٪AC-%D٨٪A٧٪D٩٪٨٤٪D٨٪A٥٪D٨٪B٣٪D٩٪٨٤٪D٨٪A٧٪D٩٪٨٥. تاريخ الإضافة: ١٨/ ٠٢/ ٢٠١٥ ميلادي.

## المبحث الثالث: مجالات الوسطية ومعالمها

إن كل تعاليم الإسلام، وأحكام الشريعة تحمل الناس على منهج الوسط والاعتدال، ومن أبرز معالم الوسطية على سبيل المثال لا الحصر ما يلي:

**أولا: الوسطية في العقيدة:**

عقيدة الإسلام موافقة للفطرة التي فطر الله الناس عليها، ومظاهر الوسطية فيها لا توجد إلا عند أهل السنة والجماعة؛ فكما قلنا الوسطية ليست الوقوف في المنتصف بين طرفين، بل هي العدل والخير معا، وهذه توجد في الاعتقاد الصحيح المبني على الكتاب والسنة.

وسطية في مصادر التلقي الجامع بين المنقول والمعقول، والتي يؤسس لقاعدة مهمة جدا (لا تعارض بين صحيح المنقول وصريح المعقول)، وما يظن تعارضا فهو في الحقيقة لخلل في الفهم عند من ظن وقوع هذا التعارض.

وسطية في الإيمان بصفات الله تعالى؛ حيث يعتقدون بأن الله تعالى: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [الشورى: ١١]. وهم يثبتون ما أثبته الله تعالى لنفسه، دون وقع في التجسيم كما وقع في ذلك المشبهة والمجسمة من أهل الملل غير الإسلام، ومن بعض المسلمين. ولا وقعوا في تعطيل المعطلة؛ فلم يثبتوا ألفاظا بلا معاني، وصفات بلا حقائق، ونزهوا الله تعالى عن كل ما لا يليق به سبحانه وتعالى.

وسطية في الإيمان بالله تعالى؛ فلا هو إله يلد أو يولد، لم يتخذ صاحبة ولا ولدا، ولا هو إله له صفات البشر. لم يقع اعتقادهم في شرك النصارى، ولا انحرافات اليهود الذين جعلوا الله ذا يد مغلولة، وأنه يصارع البشر ويغلب منهم، وليس صنما يعبد.

وسطية في الإيمان بالنبي صلى الله عليه وسلم؛ فلم يقعوا في الغلو في حقه صلى الله عليه وسلم، فلا نظروا إليه على أنه الإله، أو ابن الإله، وابتعدوا عن الجفاء في حق النبي صلى الله عليه وسلم، بل اعترفوا له بالفضل، وترضوا على آله، وأنزلوهم منزلتهم التي يستحقونها.

وسطية في الاعتقاد؛ فلم يقعوا في جفاء الماديين الذين ينكرون الغيب، ولا شطحات الروحانيين الذين لا يعيشون عالم الشهادة.

**ثانيا: الوسطية في العبادات والمعاملات والرفق بالمدعوين:**

فالتكاليف ليست شاقة، ولا تشغل وقت الإنسان كله بحيث لا يجد وقتا لطلب الرزق، وعمارة الأرض.

ويبين الإمام الشاطبي ذلك بقوله: « الشريعة جارية في التكليف بمقتضاها على الطريق الوسط الأعدل، الآخذ من الطرفين بقسط لا ميل فيه، الداخل تحت كسب العبد من غير مشقة عليه ولا انحلال، بل هو تكليف جار على موازنة تقتضي في جميع المكلفين غاية الاعتدال، كتكاليف الصلاة، والصيام، والحج، والجهاد، والزكاة، وغير ذلك مما شرع ابتداء على غير سبب ظاهر اقتضى ذلك، أو لسبب يرجع إلى عدم العلم بطريق العمل، كقوله تعالى: {يسألونك ماذا ينفقون} [البقرة: ٢١٥]. {يسألونك عن الخمر والميسر} [البقرة: ٢١٩]. وأشباه ذلك.

فإن كان التشريع لأجل انحراف المكلف، أو وجود مظنة انحرافه عن الوسط إلى أحد الطرفين، كان التشريع رادا إلى الوسط الأعدل، لكن على وجه يميل فيه إلى الجانب الآخر؛ ليحصل الاعتدال فيه، فعل الطبيب الرفيق أن يحمل المريض على ما فيه صلاحه بحسب حاله وعادته، وقوة مرضه وضعفه، حتى إذا استقلت صحته هيأ له طريقا في التدبير وسطا لائقا به في جميع أحواله»[1].

ويزيد ابن القيم الأمر بيانا فيقول: «الشريعة مبناها وأساسها على الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد، وهي عدل كلها، ورحمة كلها، ومصالح كلها، وحكمة كلها؛ فكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور، وعن الرحمة إلى ضدها، وعن المصلحة إلى المفسدة، وعن الحكمة إلى البعث؛ فليست من الشريعة وإن أدخلت فيها بالتأويل؛ فالشريعة عدل الله بين عباده، ورحمته بين خلقه، وظله في أرضه، وحكمته الدالة عليه وعلى صدق رسوله – صلى الله عليه وسلم – أتم دلالة وأصدقها، وهي نوره الذي به أبصر المبصرون، وهداه الذي به اهتدى المهتدون، وشفاؤه التام الذي به دواء كل عليل، وطريقه المستقيم الذي من استقام عليه فقد استقام على سواء السبيل.

---

(١) الموافقات، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى: ٧٩٠هـ)، (٢/ ٢٧٩)، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، الناشر: دار ابن عفان، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

فهي قرة العيون، وحياة القلوب، ولذة الأرواح؛ فهي بها الحياة والغذاء والدواء والنور والشفاء والعصمة، وكل خير في الوجود فإنما هو مستفاد منها، وحاصل بها، وكل نقص في الوجود فسببه من إضاعتها، ولولا رسوم قد بقيت لخربت الدنيا وطوي العالم، وهي العصمة للناس وقوام العالم، وبها يمسك الله السموات والأرض أن تزولا، فإذا أراد الله سبحانه وتعالى خراب الدنيا وطي العالم رفع إليه ما بقي من رسومها؛ فالشريعة التي بعث الله بها رسوله هي عمود العالم، وقطب الفلاح والسعادة في الدنيا والآخرة»[1].

ومن صور هذه الوسطية في الأحكام أن الله لم يكلف البشر بما فوق الطاقة، قال تعالى: {لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا} [البقرة: ٢٨٦]. فقد راعى قدرات الناس وسعتهم فلم يكلفهم بالمحال، ورفع عنا الإصر والأغلال التي كانت على الأمم قبلنا.

وبنيت أحكامه على الرفق بالمدعوين، قال تعالى: {وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ} [الحج: ٧٨]. وقال تعالى: {يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ} [البقرة: ١٨٥]. وقال تعالى: {يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا (٢٨)} [النساء: ٢٨].

وجعل التزام المدعوين على جهة الوسع والطاقة؛ فقال تعالى: {فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ} [التغابن: ١٦]. وليس معنى هذا أن الإنسان حر في الالتزام وعدمه، أو الالتزام بالبعض دون البعض، بل المراد ان يلتزم بأحكام الدين على قدر وسعه وطاقته؛ فلا يلزم نفسه بما لا يستطيع الوفاء به من العبادات أو التبرعات. وفي ذلك المعنى يروى عن السيدة عائشة رضي الله عنها، أنها قالت: كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم حصير، وكان يحجره من الليل فيصلي فيه، فجعل الناس يصلون بصلاته، ويبسطه بالنهار، فثابوا ذات ليلة، فقال: «يا أيها الناس عليكم من الأعمال ما تطيقون، فإن الله لا يمل حتى

---

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، (٢/ ٢٧٩)، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

تملوا، وإن أحب الأعمال إلى الله ما دووم عليه، وإن قل». وكان آل محمد صلى الله عليه وسلم إذا عملوا عملا أثبتوه[1].

ولما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد، وحبل ممدود بين ساريتين، فقال: «ما هذا؟» قالوا: لزينب تصلي، فإذا كسلت، أو فترت أمسكت به، فقال: «حلوه، ليصل أحدكم نشاطه، فإذا كسل، أو فتر قعد». وفي حديث زهير: فليقعد[2].

**ثالثا: الوسطية في التجديد والاجتهاد:**

من خلال الارتباط بالأصل والتراث الذي خلفه السابقون منا، والاتصال بالعصر وإدراك الواقع ومستجداته.

ومن المعلوم أن عملية تنزيل الأحكام الفقهية على الواقع يقتضي أمرين:

**الأول**: إدراك الأحكام الفقهية والإحاطة بها، وهذا يقتضي الرجوع لنصوص القرآن الكريم والسنة النبوية، ويقتضي الرجوع لدووين الفقه والأحكام، والاطلاع على تفاصيل تلك الأحكام، ومعرفة عللها وأسبابها وشروطها، وتحقيق الفروق بينها، ومعرفة القواعد التي تحكمها، والمقاصد الشرعية التي ترجع إليها.

**الثاني**: إدراك الواقع بعوالمه المختلفة، ومعرفة القوانين التي تحكم العمران البشري، والمعرفة بأسرار النفوس البشرية، ومعرفة النظم الإدارية التي تحكم الواقع وتشكيلاته، ومعرفة التطور المتسارع في أنماط الحياة وصورها. وذلك حتى يستطيع المجتهد تنزيل الأحكام على هذا الواقع المتغير.

---

(١) صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١ هـ)، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضيلة العمل الدائم من قيام الليل وغيره، (حديث ٧٨٢) (١/ ٥٤٠)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.

(٢) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب أمر من نعس في صلاته، أو استعجم عليه القرآن، أو الذكر بأن يرقد، أو يقعد حتى يذهب عنه ذلك، (حديث ٧٨٤) (١/ ٥٤١).

وهذه الوسطية في مجال الاجتهاد والتجديد تتصور بعدم حبس الحاضر في أسوار الماضي، فالأحكام الفقهية المدونة في الكتب مبنية غاليا على أعراف وأنماط حياة مختلفة عن واقعنا، فزماننا مختلف عن زمان الأقدمين، والحياة زادت تعقيدا عن الزمن الماضي. وليس المقصود من هذا الكلام -كما قد يفهم البعض- أنني أدعو إلى ترك الأحكام الفقهية والبحث عن أحكام جديدة، وإنما كلامي مقيد بالمسائل التي تغيرت، أو استجدت، وتحتاج إلى اجتهاد جديد.

ومن المعلوم أن الحديث هنا عن الأحكام الظنية الاجتهادية لا عن الأحكام القطعية، وهذه الأحكام مجال للمرونة والسعة، أما النصوص القطعية فلا تنالها يد التبديل.

**رابعا: الوسطية في الفتوى:**

بالمقارنة بين الكليّ والجزئيّ، والموازنة بين المقاصد والفروع، والربط بين النصوص ومعتبرات المصالح في الفتاوى والآراء؛ فلا شطط ولا وكس.

ومن المعلوم أن الفتوى تقارب الاجتهاد في عملية تنزيل الأحكام على الواقع، وهذا الواقع تتغير فيه العادات والأعراف من بلد إلى بلد، وتتغير فيه الأشخاص ونفوسهم وعقولهم، والأحكام المسطرة في كتب الفقه تغير زماننا عن زمانها، ومانا عن مكانها، فاختلاف الأشخاص والأحوال والزمان والمكان من عوامل تغير الفتوى.

ووسطية المفتي تكمن في أن يراعي ذلك، وأن يقارن بين الكلي وهي كليات الشريعة ومقاصدها، والجزئي وهو أفراد الأحكام الفقهية، كما عليه أن يوازن بين أحكام المقاصد الشرعية المرعية، وبين الأحكام الفرعية الفقهية، وعليه أن يربط بين النصوص الشرعية ونصوص الفقهاء في كتبهم الفقهية، وأن يرعى مصالح العباد والبلاد.

وقد بين الإمام القرافي ضرورة مراعاة تغير العرف والمكان في الفتوى فقال رحمه الله تعالى: «وعلى هذا القانون تراعى الفتاوى على طول الأيام فمهما تجدد في العرف اعتبره ومهما سقط أسقطه ولا تجمد على المسطور في الكتب طول عمرك بل إذا جاءك رجل من غير أهل إقليمك يستفتيك لا تجره على عرف بلدك واسأله عن عرف بلده واجره عليه وأفته به دون عرف بلدك والمقرر في كتبك فهذا هو

الحق الواضح والجمود على المنقولات أبدا ضلال في الدين وجهل بمقاصد علماء المسلمين والسلف الماضين وعلى هذه القاعدة تتخرج أيمان الطلاق والعتاق وصيغ الصرائح والكنايات فقد يصير الصريح كناية يفتقر إلى النية»[1].

ويوضح أكثر فيقول: «المفتي لا يحل له أن يفتي أحدا بالطلاق حتى يعلم أنه من أهل بلد ذلك العرف الذي رتبت الفتيا عليه فإن كان من أهل بلد آخر ليس فيه ذلك العرف أفتاه بحكم الله تعالى باعتبار حال عرف بلده من صريح أو كناية على الضابط المتقدم فإن العوائد لا يجب الاشتراك فيها بين البلاد خصوصا البعيدة الأقطار ويكون المفتي في كل زمان يتباعد عما قبله يتفقد العرف هل هو باق أم لا فإن وجده باقيا أفتى به وإلا توقف عن الفتيا، وهذا هو القاعدة في جميع الأحكام المبنية على العوائد كالنقود والسكك في المعاملات والمنافع في الإجارات والأيمان والوصايا والنذور في الإطلاقات فتأمل ذلك فقد غفل عنه كثير من الفقهاء ووجدوا الأئمة الأول قد أفتوا بفتاوى بناء على عوائد لهم وسطروها في كتبهم بناء على عوائدهم، ثم المتأخرون وجدوا تلك الفتاوى فأفتوا بها»[2].

**خامسا: الوسطية في التعامل مع الآخر:**

فالأصل مع غير المسلم هو الحوار لا الحرب والقتال، وله الحق في أن يتعبد كما يشاء، دون أن يطغى على حق المسلم في أن يحيى دينه. والآخر في نظر الإسلام يشترك معنا في وحدة الأصل الإنساني، قال تعالى: {يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (١)} [النساء: ١].

يقول الطبري: «ثم وصف تعالى ذكره نفسه بأنه المتوحد بخلق جميع الأنام من شخص واحد، معرفا عباده كيف كان مبتدأ إنشائه ذلك من النفس الواحدة، ومنبههم بذلك على أن جميعهم بنو رجل واحد وأم واحدة، وأن بعضهم من بعض، وأن حق بعضهم على بعض واجب وجوب حق الأخ على

---

(١) أنوار البروق في أنواء الفروق، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي الشهير بالقرافي (المتوفى: ٦٨٤هـ)، (١/ ١٧٦-١٧٧)، الناشر: عالم الكتب، بدون طبعة وبدون تاريخ.

(٢) المرجع السابق، (٣/ ١٦٢).

أخيه لاجتماعهم في النسب إلى أب واحد وأم واحدة، وأن الذي يلزمهم من رعاية بعضهم حق بعض، وإن بعد التلاقي في النسب إلى الأب الجامع بينهم مثل الذي يلزمهم من ذلك في النسب الأدنى، وعاطفا بذلك بعضهم على بعض ليتناصفوا ولا يتظالموا، وليبذُل القوي من نفسه للضعيف حقه بالمعروف على ما ألزمه الله له»[1]. ويقول ابن كثير: « ذكر تعالى أن أصل الخلق من أب واحد وأم واحدة؛ ليعطف بعضهم على بعض، ويحننهم على ضعفائهم»[2].

وإذا كان الإسلام ينظر إلى الآخر على أنه من ذات النوع الإنساني الواحد، فبالتالي فالمساواة بين أفراد النوع الإنساني أمر بدهي، حتى ولو لم يرد تنصيص شرعي عليه، فالتساوي واقع في كل شيء في أمور الحياة الدنيا، والاستثناءات التي ترد على المساواة بين المسلم والآخر محدودة، وفي مجالات لا بد منها.

«وقد أصَّل القرآن الكريم في هذه الآية [أي آية سورة النساء] المساواة في الإنسانية على مبدأ أن الكثرة التي خلقت من البشر مردها جميعها في الخلق إلى نفس واحدة، فهم حتما متساوون في خصائص الإنسانية، ولا يغير من المساواة في القيمة البشرية لجميع الأفراد ما جد في حياة الناس من غنى أو فقر وضعف أو قوة وعلم أو جهل إلى غير ذلك من فروق»[3].

ومن واقع هذه المساواة فإن للآخر أن يبقى على اعتقاده، لا يجبره أحد على تغييره، وله أن يمارس من العبادات والشعائر ما يمليه عليه دينه، وفي عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم مع نصارى نجران تجده ينص على حماية دور العبادة الخاصة بهم، وفي هذا مساواة مع حماية الدولة لدور العبادة للمسلمين، بل وقد قرر الرسول في العهد معهم ميزة ضرورية خاصة بغير المسلمين، وهو أن ترك لهم حرية اختيار قياداتهم الروحية؛ فلا تتدخل الدولة الإسلامية في تغييرهم وعزلهم هذا بحسب المنطوق، وأما بحسب المفهوم لا تتدخل الدولة أيضا في تعيين قياداتهم الروحية، بمعنى أن الدولة لا تختار

---

(١) تفسير الطبري، (٧/ ٥١٢- ٥١٣).

(٢) تفسير ابن كثير، (٢/ ٢٠٦- ٢٠٧).

(٣) هموم الأمة الإسلامية، أ.د: محمود حمدي زقزوق، (ص: ١٠٣)، مكتبة الأسرة ٢٠٠١م.

واحدا منهم لتنصبه قائدا روحيا. حيث ذكر في هذه الوثيقة المهمة ما يلي: «ولنجران وحاشيتها، جوار الله وذمَّة محمد النبي رسول الله على أموالهم، وأنفسهم، وملَّتهم، وغائبهم، وشاهدهم، وعشيرتهم، وبِيَعِهم، وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير. لا يُغَّير أسقف من أسقفيَّته، ولا راهب من رهبانيَّته، ولا كاهن من كهانته»[1].

وأما الاختلاف الواقع بين الناس في الأديان التي يعتنقونها فهو مشيئة إلهية، لا دخل لأحد فيها، قال تعالى: {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (١١٨) إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ} [هود: ١١٨- ١١٩]. والإشارة في قوله: (ولذلك) اختلف في مرجعها؛ فقيل: للرحمة. وقيل: للاختلاف. والمعنى على الول: وللرحمة خلقهم. والمعنى على الثاني: وللاختلاف خلقهم. وهذا الاختلاف ليس دافعا إلى التقاتل والتحارب، بل إلى التعارف والحوار، قال تعالى: { يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (١٣)} [الحجرات: ١٣]. وليس معنى التعارف الوارد في الآية أن يعرف الناس أسماء بعض وأنسابهم، وهذا وإن كان شيئا مهما لكنه ليس وحده المقصود من هذه الآية، بل المقصود ما هو أكبر من ذلك من التعارف الدافع إلى التعايش والتعاون على ما فيه خير البشرية.

وفي ضوء إقرارنا بهذا الاختلاف فإننا مطالبون بالبر والقسط مع غير المسلمين، قال تعالى: { لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٨) إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٩)} [الممتحنة: ٨- ٩].

وهاتان الآيتان تمثلان وسطية الإسلام في تحديد أصناف مخالفيه «الآخر»، وأنماط التعامل معهم، وتمثلان أيضا الإنصاف، فليسوا سواسية في طباعهم، وبالتالي فهم ليسوا سواء في المعاملة.

---

(١) مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، د: محمد حميد الله الحيدر آبادي الهندي، (ص: ١٧٦)، دار النفائس -بيروت- لبنان، الطبعة الخامسة، ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م.

يقول الطبري بعد أن ذكر اختلاف المفسرين في المقصود بهذه الآية: «وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: عُنِي بذلك: لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين، من جميع أصناف الملل والأديان أن تبرُّوهم وتصلوهم، وتقسطوا إليهم، إن الله عزّ وجلّ عمّ بقوله: (الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ) جميع من كان ذلك صفته، فلم يخصصّ به بعضًا دون بعض، ولا معنى لقول من قال: ذلك منسوخ، لأن برّ المؤمن من أهل الحرب ممن بينه وبينه قرابة نسب، أو ممن لا قرابة بينه وبينه ولا نسب غير محرّم ولا منهيّ عنه»[1].

**سادسا: الوسطية في الأحكام:**

وذلك من خلال مراعاة الكليات الشرعية الخمسة، وهي حفظ الدين والنفس والعرض والعقل والمال، حفظها الله تعالى، وشرع من الأحكام ما يحول دون المساس بها، وصونا لها عن التلاعب بها؛ فجعلها الإسلام غير قابلة للتهاون والتغيير منها، وحماها بجملة من الحدود تحفظها من التعدي عليها.

ومن صور وسطية هذه الأحكام أنها بنيت على التيسير، دفعاً للحرج، ورفعاً للأغلال والآصار. والتيسير مقصِدٌ من مقاصد هذا الدين، وصفة عامّة للشريعة في أحكامها وعقائدها، وأخلاقها ومعاملاتها، وأصولها وفروعها. فربنا سبحانه بمنِّه وكرَمِه لم يكلِّف عبادَه بما يشقّ عليهم ويغلبُهم، ولم يُرِدْ بهم العنَتَ والحرَج، بل أنزل دينَه مُيَسّرا مُطاقا مستَطاعا. وأحكامُ الشرع وفروعُه راعت أحوالَ المكلفين وظروفَهم من الصحة والمرض، والحضر والسفر، والاختيار والاضطرار. كل أوامره مقرونة بالاستطاعة، وتسقط أو تخفف عند عدم الاستطاعة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «دعوني ما تركتكم، إنما هلك من كان قبلكم بسؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم».

ففي الطهارة: إذا بلغ الماء قلتين لم يحمل الخبث، ومن شق عليه استعمال الماء انتقل إلى التيمم، و«الصعيد الطيب وضوء المسلم، وإن لم يجد الماء عشر سنين». وفي الصلاة المفروضة: يُصلي المسلم قائماً، فإن لم يستطع فقاعداً، فإن لم يستطع فعلى جنب، ويجمع بين الظهر والعصر، وبين المغرب والعشاء

---

(١) تفسير الطبري، (٢٣/ ٣٢٣).

عند الحاجة، ويقصر الرباعية ركعتين في السفر، ومن أمّ الناس فليخفّف فإن فيهم المريض والضعيف وذا الحاجة.

أما الصيام: فعبادة واجبة على الصحيح المقيم، رُخّص فيه الفِطر للمسافر والمريض، والزكاة: لا تجب إلا على من يملك نصابها، وحال عليه الحول، وعند الحصاد. والحج: إنما يجب مرة في العمر، على من يملك الاستطاعة.

والنفقة: تكون على قدر الاستطاعة، دون تبذير ولا تقتير؛ قال تعالى: {لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا} [الطلاق: ٧].

وعند العذر والمشقة والضرورة تفتح أبواب الرخص. وإذا ضاق الأمر اتسع، والمشقة تجلب التيسير، {فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ} [البقرة: ١٧٣].

والمرأة الحائض تقضي الصوم ولا تقضي الصلاة. والقلم مرفوع عن المجنون حتى يفيق، وعن الصبي حتى يحتلم، وعن النائم حتى يستيقظ. ورفع عن الأمة الخطأ والنسيان وما استُكرهوا عليه. والأصل في الأشياء الحلّ والطهارة. والسيئة بمثلها أو يغفرها الله، والحسنة بعشر أمثالها أو يضاعفها الله.

وكل التكاليف في الإسلام نعمة ورحمة وفوز وفلاح؛ فقد قال عز وجل: {مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٦)} [المائدة: ٦][1].

**سابعا: الوسطية في التفاعل الحضاري ومحبة الخير للناس كافة:**

وهذه المحبة سمة ظاهرة في هذا الدين، وأصل أصيل في أحكامه وتشريعاته، فخير الناس أنفعهم للناس، ومن تمام الإيمان أن يحب المرء لأخيه ما يحبه لنفسه، أن يحب الخير للناس كافة، ويسدي المعروف إلى الناس كافة، وأن يتعايش ويتعاون مع الناس كافة، وألاّ يتكبرَ على أحد، ولا يستعلي على أحد. قال ربنا سبحانه: ﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [الحجرات: ١٣].

---

(١) التوسط والاعتدال (١) مفهوم الوسطية ومعالمها، أحمد عماري، مرجع سابق بتصرف واختصار.

أن تحبّ لأخيك الخير، وأن تعينه على الخير، وتدله على الخير، وأن تتمنى له من الخير والفوز والفلاح ما تحبه لنفسك. ومِن محبة الخير لأخيك أن تدعوَ له بدلَ أن تدعوَ عليه، أن تنصحَه بدلَ أن تشتمَه، أن تسترَه بدلَ أن تفضحَه، إن أساء فلا تفضحْه ولا تغتبْه ولا تطعنْ في عِرضه، ولكنْ تنصَحُه وتعلمُه وتُرشِده؛ فالدين النصيحة، ومن ستر مسلما ستره الله، والدال على الخير كفاعله، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه، ومن دعا لأخيه بخيرٍ قال الملَك الموكّل به: آمين ولكَ بمثلٍ[1].

وأما صور العلاقة بين الحضارات فهي تنحصر غالبا في ذوبان الحضارات في بعضها البعض، أو تصارعها فيما بينها، أو التفاعل الإيجابي فيما بينها. والبديلان الأولان غير مرحب بهما، وغير محبذان؛ لما في الأول من التبعية والانهزامية، ولما في الثاني من التقاتل والتحارب وسفك الدماء. أما الثالث فهو الخيار المفضل؛ فتتفاعل الحضارات بحيث ينتفع كل بما عند الآخر من جوانب التقدم والخير.

(١) التوسط والاعتدال (١) مفهوم الوسطية ومعالمها، أحمد عماري، مرجع سابق.

## المبحث الرابع: وسطية الدعوة الإسلامية ومعالمها

الدعوة إلى الله تعالى أشرف الوظائف والأعمال، وقد نص الله سبحانه وتعالى على ذلك في قوله تعالى: {وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٣٣)} [فصلت: ٣٣].

يقول الشيخ السعدي رحمه الله تعالى: «هذا استفهام بمعنى النفي المتقرر أي: لا أحد أحسن قولا. أي: كلامًا وطريقة، وحالة {مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ} بتعليم الجاهلين، ووعظ الغافلين والمعرضين، ومجادلة المبطلين، بالأمر بعبادة الله، بجميع أنواعها، والحث عليها، وتحسينها مهما أمكن، والزجر عما نهى الله عنه، وتقبيحه بكل طريق يوجب تركه، خصوصًا من هذه الدعوة إلى أصل دين الإسلام وتحسينه، ومجادلة أعدائه بالتي هي أحسن، والنهي عما يضاده من الكفر والشرك، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.

ومن الدعوة إلى الله، تحبيبه إلى عباده، بذكر تفاصيل نعمه، وسعة جوده، وكمال رحمته، وذكر أوصاف كماله، ونعوت جلاله. ومن الدعوة إلى الله، الترغيب في اقتباس العلم والهدى من كتاب الله وسنة رسوله، والحث على ذلك، بكل طريق موصل إليه، ومن ذلك، الحث على مكارم الأخلاق، والإحسان إلى عموم الخلق، ومقابلة المسيء بالإحسان، والأمر بصلة الأرحام، وبر الوالدين. ومن ذلك، الوعظ لعموم الناس، في أوقات المواسم، والعوارض، والمصائب، بما يناسب ذلك الحال، إلى غير ذلك، مما لا تنحصر أفراده، مما تشمله الدعوة إلى الخير كله، والترهيب من جميع الشر»[1].

ودعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام، تدور على ثلاثة أمور:

أولاً: معرفة الله تعالى بأسمائه وصفاته.

ثانياً: معرفة شريعته الموصلة إلى كرامته.

ثالثاً: معرفة الثواب للطائعين والعقاب للعاصين[2].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ) (ص: ٧٤٩).

(٢) الاعتدال في الدعوة، محمد بن صالح العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ) منشور على موقع طريق الإسلام على الرابط التالي: http://iswy.co/e٥g٤٧، منشور بتاريخ: ١/ ٤/ ٢٠٠٥م.

إلا أن هذه الدعوة ينبغي لها أن تنطلق في مسارها الصحيح الذي ارتضاه الله عز أتباعها وجل، وأضاء بمشكاة النبوة لها طريق أتباعها، قال تعالى: {قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٠٨)} [يوسف: ١٠٨]. ذلك السبيل الحق الوسط العدل الذي جاء به الكتاب والسنة، وجعله الله عز وجل لأهل السنة والجماعة شرعة ومنهاجًا إلى قيام الساعة.

لقد شرف الله الأمة الإسلامية بأن جعلها خير أمة أخرجت للناس، فهي أمة لم تؤمر باحتكار الخير لنفسها، بل أمرت بنشره بين الناس، ولذلك كان من أسباب خيرية هذه الأمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الذي هو جزء من الدعوة إلى الله عز وجل، قال تعالى: {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ} [آل عمران: ١١٠]. وهذه هي سمات ريادة هذه الأمة وصدارتها وأحقيتها بقيادة الأمم وتوجيهها، غير أن هذا التوجيه لابد أن يكون في إطار الوسطية الإسلامية، بعيدًا عن الغلو والجفاء، والإفراط والتفريط، والشطط والابتداع[1].

إن الدعوة إلى الله – عز وجل – صارت الآن وما زالت بين طرفين ووسط. أما الطرفان فجانب الإفراط، بحيث يكون الداعية شديداً في دين الله يريد من عباد الله – عز وجل – أن يطبقوا الدين بحذافيره ولا يتسامح عن شيء الدين يسمح به، بل إنه إذا رأى من الناس تقصيراً حتى في الأمور المستحبة تأثر تأثراً عظيماً وذهب يدعو هؤلاء القوم المقصرين دعاء الغليظ الجافي وكأنهم تركوا شيئاً من الواجبات. وهذا كله يدل على أنه لا ينبغي لنا بل لا يجوز لنا أن نغلو في دين الله سواء في دعاء غيرنا إلى دين الله، أو في أعمالنا الخاصة بنا، بل نكون وسطاً مستقيماً كما أمرنا الله تعالى بذلك، وكما أمر بذلك النبي، صلى الله عليه وسلم، فالله – عز وجل – يقول: { وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٥٣)} [الأنعام: ١٥٣].

---

(١) وسطية أهل السنة والجماعة في الدعوة إلى الله، مرفت بنت كامل بن عبد الله، (ص: ٣)، رسالة دكتوراه في كلية الدعوة والإعلام بالرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، بإشراف الأستاذ الدكتور/ حمد بن ناصر العمار، ١٤٢٥-١٤٢٦هـ. وقد استفدت كثيرا في هذا المبحث من هذه الرسالة.

وضد ذلك: من يتهاون في الدعوة إلى الله – عز وجل – فتجده يرى الفرص مواتية والمقام مناسباً للدعوة إلى الله ولكن يضيع ذلك، تارة يضيعه لأن الشيطان يملي عليه أن هذا ليس وقتاً للدعوة، أو أن هؤلاء المدعوين لن يقبلوا منك، أو ما أشبه ذلك من المثبطات التي يلقيها الشيطان في قلبه فيفوت الفرصة على نفسه. وبعض الناس إذا رأى مخالفاً له بمعصية بترك أمر أو فعل محظور كرهه واشمأز منه وابتعد عنه، وأيس من إصلاحه وهذه مشكلة والله سبحانه وتعالى بين لنا أن نصبر وأن نحتسب قال الله تعالى لنبيه: { فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ} [الأحقاف: ٣٥].

فالذي ينبغي للإنسان سواء كان داعية لغيره إلى الله أم متعبداً لله أن يكون بين الغلو والتقصير مستقيماً على دين الله – عز وجل – كما أمر الله – عز وجل – بذلك في قوله: {شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ (١٣)} [الشورى: ١٣]. وإقامة الدين الإتيان به مستقيماً على ما شرعه الله – عز وجل –[1].

والدعوة كما هو معلوم لدى المتخصصين لها أركان، وسنفرد كل ركن ببيان الوسطية فيه، وذلك كما يلي:

**أولا: الداعية:**

الداعية هو الذي يتحمل مسؤولية الدعوة، وهو القائم بتلك الوظيفة خلفا عن النبي صلى الله عليه وسلم، ولذلك من الأهمية بمكان غرس وسطية الإسلام في عقل وقلب الداعية؛ حتى تتحول وسطية الإسلام إلى سلوك عملي عنده، وتظهر على خطابه الدعوي، ولا شك أن هذا يكون له أبلغ الأثر في نفوس المدعوين وسلوكياتهم.

ولذلك من المهم جدا إعداد هذا الداعية علميا وتعبديا وأخلاقيا بصورة تزرع فيه الوسطية، ومن ذلك:

١ – إعداده في حفظ القرآن الكريم، والإلمام بالسنة النبوية رواية ودراية. وتعلم العلوم المتفرعة عنهما من علوم العقائد والفقه، وأصول الفقه. وتعلوم اللغة العربية نحوا وصرفا وبلاغة.

---

(١) الاعتدال في الدعوة، محمد بن صالح العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، مرجع سابق بتصرف واختصار.

٢- أن يتعلم قواعد الدعوة، مثل: البدء بالأهم؛ فالتدرج في الدعوة إلى الله من الأهم إلى المهم فالأقل أهمية من أهم القواعد التي تقوم عليها الدعوة. فعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن: «إنك ستأتي قوما أهل كتاب، فإذا جئتهم، فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، فإن هم أطاعوا لك بذلك، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لك بذلك، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، فإن هم أطاعوا لك بذلك، فإياك وكرائم أموالهم واتق دعوة المظلوم، فإنه ليس بينه وبين الله حجاب»[1].

ومن القواعد أيضا: درء المفاسد مقدم على جلب المصالح، وهي قاعدة مهمة في الدعوة إلى الله تعالى، وقد نهى الله تعالى عن سب آلهة المشركين لئلا يتجرؤوا على سب الله تعالى، قال تعالى: {وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ} [الأنعام: ١٠٨].

ومن القواعد: ألا يؤدي تغيير المنكر إلى منكر أكبر منه.

ومن القواعد: الإسرار بالنصيحة، من أجل كسب قلوب المدعوين وعدم كسرها أمام الناس؛ فالنفس البشرية تمج من سماع الجهر بالتوجيه وإظهار المعايب على مرأى ومسمع من الحاضرين.

٣- إعداد الداعية تعبديا؛ وذلك بغرس الإيمانيات والعبادات القلبية في داخله.

٤- إعداد الداعية أخلاقيا؛ فالأخلاق الحميدة واحة خضراء عظيمة، يحتار الناظر في جمالها وخيراتها، ولا يستطيع أن يأتي عليها إلا من نال أعلى درجات الإيمان. ويتعلم الداعية أخلاق التعامل مع الله، وأخلاق التعامل مع النفس، وأخلاق التعامل مع الغير.

٥- والعنصران السابقان يدلان بوضوح على أهمية تربية الداعية إلى جانب تعليمه، والتربية تغرس السلوك السوي، والوسطية في نفس الإنسان أكثر من إلقاء المعلومات إليه.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب أخذ الصدقة من الأغنياء وترد في الفقراء حيث كانوا، (حديث ١٤٩٦) (١٢٨/٢).

**ثانيا: موضوع الدعوة:**

والمقصود بموضوع الدعوة هي الموضوعات التي يقوم الداعية على تبليغها لجمهور المدعوين، وتتوزع على أنحاء ثلاثة: الجانب العقدي، والجانب التشريعي، والجانب الأخلاقي. ومن المعلوم مدى اشتمال هذه الجوانب الثلاثة على مظاهر كثيرة من الوسطية، وقد حاول البحث فيما سبق بيان أبرز معالم الوسطية في الجانبين الأولين؛ فلا نطيل القول هنا، ولا نكرر الكلام، ونكتفي بما سبق.

أما الجانب الأخلاقي؛ فإن الوسطية فيه من أهم ركائز الدين الإسلامي، فما من خلق ندب إليه الشارع الحكيم إلا وهو وسط من حيث إنه مقدور عليه، كما أنه لا يخرج عن دائرة الاعتدال في مضمونه، فكل ما ورد في باب الآداب أو البر أو الصلة يشهد بوسطية هذا الدين.

**ثالثا: وسائل الدعوة وأساليبها:**

لا يمكن أن تصل الدعوة إلى المدعوين سواًء فيما يتعلق بجوانب الاعتقاد أو التعبد أو الأخلاق إلّا من خلال أدوات وقنوات مشروعة تمر من خلالها لتصل إلى المدعوين بصورة شيقة مؤثرة. فلن تؤتي الدعوة إلى الله أكلها على الوجه الصحيح؛ إلا إذا سلك الداعية فيها المسلك الأمثل الذي سلكه أهل السنة والجماعة في الدعوة إلى الله من حيث الوسائل والأساليب والذي يتسم بالوسطية والاعتدال والتوازن.

فعلى الداعية أن يتعامل مع الوسائل بوسطية؛ فلا يقبلها كلها على إطلاقها، ولا يردّها برمتها، إنما يأخذ منها ما كان مشروعًا ولم يتعارض مع ثوابت الدين. أما ما خالف الشرع منها فيجب عليه أن يضرب صفحًا عنه وإن شاع وذاع، فالحق أحق أن يتبع، وأن يضع نصب عينيه دائمًا منهج الرسول صلى الله عليه وسلم في الدعوة.

**رابعا: المدعوون:**

وهم محل الدعوة التي يتعامل معها الداعية، وهم يشمل جميع سكان الأرض من مسلمين وغيرهم، ويتحتم على الداعية التعرف على المنهج الصحيح للتعامل مع كل منهم على حده، مو الإنسان المخاطب بدعوة الإسلام، أي الإنسان البالغ العاقل ذكرا أو أنثى مهما كان جنسه ولونه وبلده ومهنته إلى غير ذلك من الفروق بين البشر.

والمدعوون هم ركن رئيس من أركان الدعوة؛ فما أرسلت الرسل إلا لتبليغهم كلمة الله إليهم، ولذلك كان البشر جميعا بطوائفهم أرسل إليهم الرسل، قال تعالى: {إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ (٢٤)} [فاطر: ٢٤]. وكان الرسول يخاطبهم بلسانهم، قال تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٤)} [إبراهيم: ٤].

وتكون مراعاة الوسطية في التعامل معهم بأداء الحقوق الواجبة لهم، فالمسلم له حقوق على المسلم، وكذلك غير المسلم له حقوق على المسلم؛ فما بالك بالداعية؟ فالداعية مطالب بأداء الحقوق، بل وأداء الفضل أيضا.

## خاتمة البحث

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد؛ فإن الوسطية ميزة من مميزات هذا الدين، وقد فهم العلماء من هذه الوسطية أنها تعني العدل والخير معا، وليس مجرد الوقوف في المنتصف. وقد ظهرت هذه الوسطية في جملة من المعالم وهي: الجمع بين الوحي والعقل، والعناية بأعمال الظاهر والباطن، وعمارة الدنيا والعمل للآخرة، والجمع بين الثبات والمرونة، والقطيعة والظنية، والثوابت والمتغيرات، والأصول والفروع.

وأما المجالات التي تظهر فيها الوسطية فهي كثيرة منها: الوسطية في العقيدة، والوسطية في العبادات والمعاملات والرفق بالمدعوين، والوسطية في التجديد والاجتهاد، والوسطية في الفتوى، والوسطية في التعامل مع الآخر، والوسطية في الأحكام، والوسطية في التفاعل الحضاري ومحبة الخير للناس كافة. وأما الوسطية في الدعوة الإسلامية فتظهر في أركان الدعوة من: الداعية، وموضوع الدعوة، ووسائل الدعوة وأساليبها، والمدعوين. هذا، وما كان من صواب فمن الله، وما كان من خطأ أو سهو فأستغفر الله منه، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

## مراجع البحث


١. أحكام القرآن، أبو محمد عبد المنعم بن عبد الرحيم المعروف «بابن الفرس الأندلسي» (المتوفى: ٥٩٧ هـ)، تحقيق: د/ طه بن علي بو سريح، د/ منجية بنت الهادي النفري السوايحي، صلاح الدين بو عفيف. الناشر: دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٧ هـ – ٢٠٠٦ م.

٢. الاعتدال في الدعوة، محمد بن صالح العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ) منشور على موقع طريق الإسلام، منشور بتاريخ: ١/ ٤/ ٢٠٠٥م.

٣. إعلام الموقعين عن رب العالمين، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ – ١٩٩١م.

٤. اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، تقي الدين أبو العباس أحمد ابن تيمية (المتوفى: ٧٢٨هـ)، تحقيق: ناصر عبد الكريم العقل، الناشر: دار عالم الكتب، بيروت، لبنان، الطبعة السابعة، ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م.

٥. أنوار البروق في أنواء الفروق، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي الشهير بالقرافي (المتوفى: ٦٨٤هـ)، (الناشر: عالم الكتب، بدون طبعة وبدون تاريخ.

٦. تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تحقيق: أحمد سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩ م.

٧. تفسير القرآن الكريم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١ه)، تحقيق: مكتب الدراسات والبحوث العربية، الناشر: دار ومكتبة الهلال – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠ هـ.

٨. تفسير المنار، محمد رشيد بن علي رضا (المتوفى: ١٣٥٤هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م.

٩. التفسير المنير، د وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر – دمشق، الطبعة الثانية، ١٤١٨هـ

١٠. التكامل المعرفي بين العقل والنقل في الفقه وأصوله، د. ربيع محمد محمد عبد

الرحمن، بحث منشور بمجلة كلية الدراسات العربية والإسلامية بأسوان، العدد الرابع ذو القعدة ١٤٤٢ه يونيو ٢٠١٢م.

١١. التوسط والاعتدال: (١) مفهوم الوسطية ومعالمها، أحمد عماري، مقال منشور بموقع الألوكة، تاريخ الإضافة: ١٠/ ١٠/ ٢٠١٥ ميلادي - ٢٦/ ١٢/ ١٤٣٦ هجري.

١٢. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠ م.

١٣. جامع البيان في تأويل القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

١٤. الجامع الكبير - سنن الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرة الترمذي، (المتوفى: ٢٧٩هـ)، تحقيق: بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي - بيروت، سنة النشر: ١٩٩٨ م.

١٥. الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م.

١٦. درء تعارض العقل والنقل، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية (المتوفى: ٧٢٨هـ)، تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م.

١٧. سنن ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (المتوفى: ٢٧٣هـ)، تحقيق: شعَيب الأرنؤوط وآخرون، الناشر: دار الرسالة العالمية، الطبعة الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.

١٨. سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ)، تحقيق: شعَيب الأرنؤوط - محَمَّد كامِل قره بللي، الناشر: دار الرسالة العالمية، الطبعة الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩م.

١٩. صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

٢٠. صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.

٢١. في فقه الحضارة الإسلامية، محمد عمارة، مكتبة الشروق الدولية، الطبعة الثانية: ٢٠٠٧م.

٢٢. لسان العرب، ابن منظور (المتوفى: ٧١١هـ)، الناشر: دار صادر - بيروت، الطبعة الثالثة - ١٤١٤ هـ.

٢٣. مجموع الفتاوى، تقي الدين أبو العباس أحمد ابن تيمية (المتوفى: ٧٢٨هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، السعودية، طبعة، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

٢٤. مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، د: محمد حميد الله الحيدر آبادي الهندي، دار النفائس -بيروت- لبنان، الطبعة الخامسة، ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م.

٢٥. محاسن التأويل، حمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ.

٢٦. المستصفى، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ)، تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

٢٧. مسند البزار، أبو بكر أحمد البزار (المتوفى: ٢٩٢هـ)، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، وعادل بن سعد، وصبري عبد الخالق الشافعي، الناشر: مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٩٨٨م - ٢٠٠٩م.

٢٨. المصنف في الأحاديث والآثار، أبو بكر بن أبي شيبة (المتوفى: ٢٣٥هـ)، تحقيق: كمال

يوسف الحوت، الناشر: مكتبة الرشد – الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٩.

٢٩. معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

٣٠. معركة المصطلحات بين الغرب والإسلام، محمد عمارة، دار نهضة مصر، الطبعة الثانية: ٢٠٠٤م.

٣١. الموافقات، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى: ٧٩٠هـ)، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، الناشر: دار ابن عفان، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

٣٢. ميزان الثابت والمتغير في منهج الإسلام، د. عبدالله عطا عمر، مقال منشور بموقع إسلام أون لاين، تاريخ الإضافة: ١٨/ ٠٢/ ٢٠١٥ ميلادي.

٣٣. هموم الأمة الإسلامية، أ.د: محمود حمدي زقزوق، مكتبة الأسرة ٢٠٠١م.

٣٤. وسطية أهل السنة والجماعة في الدعوة إلى الله، مرفت بنت كامل بن عبد الله، رسالة دكتوراه في كلية الدعوة والإعلام بالرياض، جامعة محمد بن سعود، بإشراف أ.د/ حمد بن ناصر العمار، ١٤٢٥-١٤٢٦هـ.

٣٥. الوسطية في القرآن، د. علي محمد الصلابي، مكتبة الإيمان – المنصورة، الطبعة الأولى ٢٠٠٥